أكون من الجاهلين لأن الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى
عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة
الاستعاذة استفظاعًا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
أي ما حالها وصفتها وكان حقه أن يقولوا أي بقرة هي أو كيف هي
لأن ما يسأل بها عن الجنس غالبًا لكنهم لما رأوا ما أمروا به على حال
لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته قال
إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال
فرضت سنها ولا تركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة
عوان نصف نواعم بين أبكار وعون بين ذلك أي ما ذكر من الفارض قال ع
والبكر ولذلك أضيف إليه بين فإنه لا يضاف إلا إلى متعدد
وعود هذه الكنايات وإجراء تلك الصفات على بقرة يدل
على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب
ومن أنكر ذلك زعم أن المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة
ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فإن
التخصيص إبطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد
الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلاة والسلام
لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم
فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة
بقوله فافعلوا ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به
من قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمركم بمعنى مأموركم
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها
بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك
يؤكد به فيقال أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وفي إسناده
إلى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه
قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله سبحانه وتعالى جمالات صفر قال الأعشى
تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب
ولعله عبر بالصفرة عن السواد لأنها من مقدماته أو لأن
سواد الإبل تعلوه صفرة وفيه نظر لأن الصفرة بهذا المعنى
لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين أي تعجبهم والسرور أصله

البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها ...

لذة

٤٤

لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الأول واستكشاف زائد وقوله إن
البقر تشابه علينا اعتذار عنه أي إن البقر الموصوف بالتعوين
والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر
والأباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وإدغا(م)
على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففًا ومشددًا وتشبه بمعنى
تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشبه ومتشبهة وإنا إن شاء
الله لمهتدون إلى المراد ذبحها أو إلى القاتل وفي الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد واحتج أصحابنا على أن الحوادث
بإرادة الله سبحانه وتعالى وأن الأمر قد ينفك عن الإرادة وإلا لم
يكن للشرط بعد الأمر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث
الإرادة وأجيب بأن التعليق باعتبار التعلق قال إنه يقول
إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث أي لم تذلل
للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول
كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح أي حيث
هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان أي حيث هو وتسقي
من أسقى مسلمة سلمها الله سبحانه وتعالى من العيوب أو أهلها من
العمل أو أخلص لونها من سلم له كذا إذا أخلص له لا شية فيها
لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا
وشية إذا خلط بلونها لون آخر قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها
أي بحقيقة صفة البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الا
ستفهام والآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام فذبحوها
فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما
كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعتهم أو لخوف الفضيحة
في ظهور القاتل أو لغلاء ثمنها إذ روي أن شيخًا صالحًا منهم كان
له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى
يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم
وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبًا وكانت البقرة إذ ذاك
بثلاثة دنانير وكاد من أفعال المقاربة يوضع لدنو الخبر حصولا

ولا الثانية مزيدة لتاكيد الأولى والفعلان صفتا ذلول صح